قصة قصيرة

حَظِيرة المُسُوخ



محمد حياه

قصة قصيرة

حَظِيرة المُسُوخ

بقلم / محمد حياه

رسالة لمن بالخارج..

بعد التحية التي لا أعرف كيف وأنا في هذا المكان

أرجوك يا من بالخارج، يا من وصـــلته تلك الرســـالة، أرجوك أن تـأتي وتنقـذني، أن تســـرع لتنقـذ روحي وجسدي فلقد خسرت كل شيء، أنا أسير بتلك الحظيرة منذ زمنٍ طويل، سجين لدى مسوخٍ مخيفة قذرة تستمتع بتعذيبنا وحبســـنا وســـط قذوراتها ونفاياتها العفنة، أرجوك حاول ألا تصـــدقهم مهما قالوا لك عني أو عن والداي، أرجوك لا تصـــدقهم فهم مســـوخ ماكريين، أرجوك حاول ألا تُهمل تلك الرســالة فبين طياتها روّح تنتظر مُخلصها.

أنا لا أعرف كم عمري ولكنـي صـغير سن حتى لا أعلم ماذا تعنى الأرقام وكيف يتم استخدام الأعداد حتى، منذ ولادتي وأنـا في هذا المكـان الغريـب أو بـالأحرى قد ولدتُ فيه، مكان صـغير نسـبيًا يكفي لنومي أنا ووالدي ووالدتي، أربعة جدران تفصـــلنا عن الحياة بالخارج، أربع جدارن كاتمة اللون شــاهقة الارتفاع، لا يوجد في هذا المكان ســـوى منفذٌ واحد في هذا المحبس الكئيب، منفذ يتسـرب منه الضـوء كل الحين والأخر، هو عبارة

بابٌ أسود عملاق يحتضن بين شقوقه الرطبة الكثير من عشش الحشرات التي تتغذى على عفنه وشيخوخته، لا يقوى على فتحه عشرة أشداء منا حتى، محبسنا هذا ما هو إلا مكان لا يخلو من الرائحة العفنة حتى أنني لا أعرف معنى أخر للرائحة العفنة لأنني لم أستنشق سوا ها حتى أعرف هل هناك أسوء منها؟ أم هي الأسوء؟ أم هناك روائح أخرى؟ مكان يغمره الوحل الطيني اللزج في كل مكان، تتناثر فيه قذورات وفضلات لكائنات غريبة في كل مكان حولنا على الارض وعلى الجدران، تتناثر لدرجة تثير غثياني كثيرًا.

تخيل معي طفلًا لا يعرف عن طفولته أي شيء، ما هي الطفولة؟ لم يمارس منها أي شيء، لا أعرف أو أتعلم سوى شيء واحد هو الخوف، الخوف من الظلام، الخوف من المجهول، الخوف من المسوخ، الخوف من كل شيء وأي شيء.

لا تسألني لماذا تتحمل كل هذا؟ ولماذا لا تهرب أنت وأسرتك؟ سوف أجيبك بأننا تحت الأَسر في تلك الحظيرة القذرة، لا نملك حق الخروج أو الهروب منها، يمتلك تلك الحظيرة كائنات غريبة مسوخ مرعبة الشكل مفزعة المنظر، سوف أوصفها لكم كما وصفها

والدي لي لأنني ضـــعيف بالأعداد كما أخبرتك، وهو أيضًا يتعمد أن يحتضني أثناء دخولهم الحظيرة حتى لا أراهم، فلقد قال لي إنهم لديهم نصـــف عدد أعيننا، وأيديهم ضـعف عدد أيدينا، وطولهما يفوق طولنا ثلاثة مرات، وأرجلهم نصـف عدد أرجلنا، بشـرتهم صـلعاء كثيرًا، وصـــوتهم فحيح منخفض لكنه مرعب بشـــدة، وهذا ما أســـمعه أنا وقلبي الذي يهرول بداخلي بدقاته من الخوف.

والدي حاد الســـمع بشـــكلًا كبير يخبرنا أنا ووالدتي بقدومهم من بعيد فيأخذني في حضنه فتسكن رأسي في طيات عظام صدره الدافئة بكل أمان، ومن خلفي تغطي ظهري والدتي بجسدها وهي تحتضنني خوفًا أن يراني المسـوخ ويقتلونني فهم ليسـوا على علم بوجودي حتى الأن، هذا ما تقوله والدتي لي وأنا أتعلم منها كل شيء.

يحدث هذا في كل مرة يدخلوا الحظيرة ليلقوا بمخلفات طعامهم لنتناولها بعد أن ينصـــرفوا، أو يأتوا بغرض أخر غريب لا نعرف هل هي طقوس عندهم أو إحدى صـــلاوتهم الغريبة، يقول والدي واصـــفًا لي ما يفعلوه، إن أحد المسوخ أو أثنين منهم يأتيان ويدخلان الحظيرة في ثبات وقوة مخيفة فننكمش جميعًا في زاوية بعيدة في الركن الشـرقي. ويقفان المسـخان في الجهة المقابلة

لنا ويرفعان أيديهما لأعلى فتتفتح فتحة غريبة بسقف الحظيرة وتهبط عليهما منها أمطار من الوحل الطيني القذر، ليغطي جسدهما المقزز ويبدأوا في ضرب أجسادهما به، فيزداد الوحل حولنا فلا نستطيع أن ننام بسببه حتى يجف قليلًا.

تعرّف والدي على والدتي هنا، وهنا بدأت قصة حبهما، وهنا تزوجا، وهنا أنجباني، هما حتى أصبحا لا يتذكران منذ متى وهما أسرى في تلك الحظيرة، متى أصبحا عبيدان لهولاء المسوخ، هل مثلي منذ ولادتهما؟ وإذا كان هذا الظن صحيح فأين عائلتهما؟ لقد سمعت والدي يهمس لوالدتي ذات ليلة إن تلك المسوخ سوف تتناولنا في نهاية المطاف، ولكني لم أخبرهم بأني سمعتهما أو أتعمد الإنصات لهما، وهذا ما أخاف أن يحدث فعلًا، فتلك المسوخ تتحدث بطريقة غريبة تقول أشياء غير مفهومة عند دخولها الحظيرة تجعل أبي وأمي ينتفضان ويرتعشان وهم يحتضنوني، كم تلك الحياة مرعبة ومخيفة، كم أكره ما أنا فيه من ظلم ليس بيدي أو كان إختيار لي، وإذا كان عقاب لذنب أو جُرم قد فعلته فليخبرني أحدهم ماذا فعلت.

وفي يوم إقترب أحد المسوخ من الحظيرة فهَم والدي سريعًا وأحتضني فعلمت أنا وأمي أن هناك أحد قادم،

ولكن ما أن إحتضنني هو ومن خلفي فعلت مثله والدتي حتى تمتم المسخ بتعويذته وهو يدخل لينتفض والداي من فوقي، ولكن تلك المرة قد سمعت صوت أنفاس هذا المسخ عالية، عالية عن كل مرة إنها واضحة جدًا بالنسبالي صوت دقات قلبه الضخم تدق بداخل أذني تريد أن تقتحم رأسي فتهشمها من شدة صوتها، نسمة باردة إقتربت مني، نعم شعرت بها جيدًا فضمني حينها أكثر والدي نحوه بحنو وخوف.

وفي لحظة واحدة شعرت بأن ظهري تملكته البرودة على غير عادة، لقد تركتني والدتي وأصبح ظهري عاريًا مكشوفًا أمام هذا المسخ الدميم لا يستره جسد والدتي الغطاء والستر لي، وأبي يضمني أكثر إلى صدره حتى لا أرى شيئًا مما يحدث، ولكني أشعر بكل شيء نعم يا والدي فلقد شعرت بكل شيء، فدقات قلب والدي وأنفاسه السريعة المتقطعة وبلل رأسي أخبروني بكل صراحة قاتلة محزنة إنه يبكي، وطيات صدره التي بدأت في ضرب رأسي من تنهيداته السريعة بسبب البكاء، وحينها إخترق أذني صوت أعرفه جيدًا فلقد سمعت صوت شبيه بصوت أمي، نعم كان هو كانت تصرخ صرخة زلزلت جسدي فتكورت أكثر بداخل حضن أبي وإنكمشت من خوفي، وما أن لاحظ هو ذلك حتى وجدته قد وضع يده على أذني حتى لا أسمع صراخ

أمي الذي سمعته مكتومًا مخنوقًا من أسفل يد والدي التي تسد أذني، وهنا شعرت بثقل في رأسي وكأنني أنجرف في بئرًا عميق مظلم.

لا أعرف شيء بعد ذلك إلا أني إستيقظت لأجد والدي جالسًا بجواري يحتضن أقدامه خوفًا، وما أن لاحظ إستيقاظي حتى هَم بمسح دمع عيونه سريعًا وتقدم نحوي وأخبرني، أن والدتي الأن في مكان أفضل من تلك الحظيرة القذرة وبالتأكيد ليست تحت سلطة من لا يرحم مثل هؤلاء المسوخ الدميمة.

مرت عدة أيام لا أعرف كم، لم يتغير فيها شيء سوى أبي الذي أصبح لا يتحدث معي، جالسًا بجواري صامتًا، عيونه تراقب وترصد باب الحظيرة، لا أعرف لماذا؟ أو ماذا يدور بخاطره؟ هل ينتظر دخول المسوخ فينقض عليهم إنتقامًا لما فعلوه بوالدتي؟ لكني لا أظنه بتلك الشجاعة وإذا كان فلماذا إنتظر كل هذا العمر؟

وفجأة وجدته ينظر لي وعيونه لا يملئها سوى الغضب، وأقترب مني وألصق وجهي بالجدار ووقف خلفي، ثم أمرني أن أغمض عيوني ولا ألتفت للخلف مهما حدث، وبعد لحظات سمعت باب الحظيرة قد فتح فعلمت إنه قد أنصت لخطواتهم وعلم بقدومهم نحونا، ولذلك فعل ما

فعله، لم تمر سوى لحظات قليلة وبدأت أسمع أنين والدي وصوت نحبه وتنهيداته السريعة، ثم إختلط معها صوت تمتمة المسوخ، وقبل أن ينهوا تمتمتهم اللعينة كان قد تبعهم والدي بصرخة عالية إنتفض فيها قلبي من الداخل وكأنه يريد أن يقفز من صدري لينقذه، ولكني صغير لا أقوى على شيء، إزدادت صراخات والدي إرتفاعًا وألمًا، حتى توقفت وتوقف معها كل شيء ولم يسمع سوى ضربة الباب معلنًا غلقه مرة أخرى وبالتالي خروج المسوخ، فإلتفت للخلف فلم أجد أي أثر لوالدي، لم يتركوا منه شيء يذكر، فتكورت على نفسي وأحتضنت قدمي وأسكنت رأسي عليها، وبدأت رحلتي مع البكاء حتى غفوت لا أعرف لمتى، ولكن عندما إستيقظت وجد يد صغيرة تلمس رأسي، فرفعتها فجأة مفزوعاً لأجد فتاة صغيرة تقترب من عمري على ما أظن، نظرت لي وأبتسمت فدنوت منها قليلاً وعندما سألتها من هي؟ أو كيف جاءت إلى هنا؟ ولماذا جاءت لهذا المكان من الأساس؟ لأتفاجئ بإنها لا تعلم شيئًا، حتى لا تعرف إسمًا لها، فربت على يديها في حنان، وأخبرتها بأني سوف أدعوها بأقرب أسم إلى قلبي بأسم أمي، نعم أسميتها "الخبائث"، ونحن الأثنان الأن ننتظر من يخرجنا من تلك الحظيرة، ننتظر المنقذ، ننتظرك

أنت، أرجوك لا تهمل رسالتي وأبحث عنا وأخرجنا من هذا المكان، من حظيرة المسوخ.

إمضـــاء

خَبّوث إبن الخُبث

****

تمت بحمدالله

بقلم / محمد حياه